«زايد للكتاب» تنظّم جلستين في معرض فرانكفورت للكتاب

أبوظبي – نظمت جائزة الشيخ زايد للكتاب جلستين افتراضيتين لتسليط الضوء على عدد من القضايا التي تهم القطاع الأدبي في العالم العربي، وذلك خلال مشاركتها في البرنامج الافتراضي لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب الذي أقيم تحت شعار "كلنا معا الآن".

وقال الدكتور علي بن تميم، أمين عام جائزة الشيخ زايد للكتاب، رئيس مركز أبوظبي للغة العربية "سعداء بالمشاركة السنوية لجائزة الشيخ زايد للكتاب في معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، وإن كانت بشكل افتراضي هذا العام، حيث تستمر جائحة كورونا في فرض التحديات والقيود على القطاع الأدبي وغيره من القطاعات، ويجب علينا العمل معا لتخطي هذه القيود وتحول التحديات إلى فرص لتحقيق مصلحة جميع العاملين في هذا القطاع".

وأضاف "معرض فرانكفورت الدولي للكتاب هو من أبرز الفعاليات الأدبية في العالم، ولقد دأبت الجائزة على المشاركة فيه عاما بعد عام لمكانته البارزة في القطاع الأدبي، فهو يوفّر منصة عالمية تجمع الناشرين والمؤلفين والقراء تحت سقف واحد لتبادل الخبرات، والاطلاع على أحدث الأعمال والتوجّهات في قطاع النشر والتأليف".

> الجلسة الأولى تناولت المبادرات التي تسلط الضوء على الأدب العربي وعالجت الثانية التحديات التي تواجه أدب الطفل

وكانت الجائزة قد نظّمت جلسة بعنوان "العالم العربي: إمكانات كبيرة تنتظر الاكتشاف"، بمشاركة مارغريت أوبانك، ناشرة مجلة "بانيبال" البريطانية الفائزة بجائزة الشيخ زايد للكتاب لعام 2020 عن فرع النشر والتقنيات الثقافية، والتي حاورتها هانا جونسون، ناشرة مجلة "ببلشنغ برسبكتيفز" الأميركية.

وتناولت الجلسة المبادرات التي تهدف إلى دعم الكتّاب العرب وتسليط الضوء على الأدب العربي، مثل مجلة "بانيبال" وجائزة الشيخ زايد للكتاب، وغيرها من المبادرات.

وقالت مارغريت أوبانك "يتميّز الأدب العربي بالتنوّع، لكن غياب الترجمة في الماضي حرم الكثير من المؤلفين العرب من نشر أعمالهم بلغات أخرى، وهذا كان من أسباب تأسيس مجلة بانيبال، حيث قمنا بترجمة أعمال لعدد من الكتّاب العرب الذين لم تترجم أعمالهم سابقا".

وأضافت "اليوم لاحظنا وجود طلب متنام على نشر أعمال الكتّاب العرب، خاصة بين الناشرين المستقلين، وهنا يأتي دور الجوائز الأدبية، مثل جائزة الشيخ زايد للكتاب، لتسليط الضوء على أهمية الترجمة الأدبية، حيث حظيت مجلّتنا بالكثير من الاهتمام الإعلامي بعد الفوز بالجائزة على الرغم من تواجدها منذ العام 1998".

وتابعت أوبانك "ساهمت جائزة الشيخ زايد في إحداث تغيير في معارض الكتب العربية، حيث يتم كل عام الإعلان عن الفائزين بالجائزة قبيل انطلاق معرض أبوظبي للكتاب، وذلك لإفساح المجال للوسط الأدبي للاحتفاء بهم خلال المعرض، حيث يتم تنظيم عدد من الندوات والجلسات لتسليط الضوء على الأعمال الفائزة والمسيرة المهنية لهؤلاء الكتّاب".

كما نظّمت الجائزة جلسة افتراضية ثانية بالتعاون مع مؤسسة ليتبروم الثقافية الألمانية، تحت عنوان "أدب الطفل بين العالم العربي وأوروبا"، شاركت فيها الكاتبة الفلسطينية – الأميركية ابتسام بركات، الفائزة بجائزة الشيخ زايد للكتاب 2020 عن فرع "أدب الطفل والناشئة"، والكاتبة الألمانية كيرستن بون الحائزة على عدد من الجوائز في أدب الطفل والناشئة، وأدار الحوار المستعرب الألماني وعضو مؤسسة ليتبروم الثقافية الدكتور ستيفان ميلتش.

تمحورت الجلسة حول التحديات والقيود التي تواجه الكتّاب المختصين بأدب الطفل، وكيفية طرح المواضيع المتعلقة بالمشهد العالمي اليوم بشكل يتناسب مع الأطفال ويرسم صورة إيجابية للعالم من حولهم.

ورأت الكاتبة ابتسام بركات أن الطفولة عالمٌ يجمع كل البشر، حيث قالت "الطفولة توحّدنا جميعا، فكلّ منّا كان طفلا يوما ما، وأكثر ما يميز الطفولة هي حرية التفكير والخيال وحب الاستكشاف، بعيدا عن القيود التي يعاني منها البالغون، وهذا ما دفعني إلى الكتابة للأطفال، فأنا أريد أن أحمي هذه الحرية والخيال التي يتمتع بها الأطفال".

واتفقت الكاتبة الألمانية كيرستن بون مع الكاتبة ابتسام حول أهمية مرحلة الطفولة في صياغة شخصية وفكر الكاتب، وقالت في معرض حديثها عن التحديات المتعلّقة بالكتابة للأطفال "لا يوجد موضوع لا يمكننا مناقشته مع الأطفال، لكن الأهم هو كيفية مناقشة هذا الموضوع بشكل يتناسب مع قدراتهم، ودون إثقال كاهلهم بالتفاصيل السلبية التي ترسم صورة سوداوية للواقع، فعلى الكاتب منحهم الأمل بعيدا عن المفهوم التقليدي للنهاية السعيدة لإطلاق العنان لخيالهم".

واتفقت الكاتبتان على أن القدرة على رؤية الأمل في الحياة هي أداة هامة للأطفال والبالغين على حد سواء، وعندما يتم غرسها باكرا في الأطفال، فإن الكاتب يمنحهم الفرصة لتنميتها خلال مختلف مراحل حياتهم، وهذا ينعكس بشكل إيجابي على كيفية رؤيتهم للعالم وكيفية تعاطيهم مع التحديات التي تواجههم.

وأثنت الكاتبة ابتسام على الاهتمام الذي توليه جائزة الشيخ زايد للكتاب لأدب الأطفال، حيث قالت "أدب الأطفال هو من أهم أنواع الأدب لأنه يؤثر بشكل كبير على نشأة الأفراد في المستقبل، ولا يوجد كاتب ناجح لم يتأثّر بالكتب التي قرأها أثناء طفولته، لكن للأسف، فإن الاهتمام والجوائز التي يحظى بها الكتّاب المختصون بأدب الأطفال هي أقل بكثير مما يحظى به الكتّاب الآخرون، لكن جائزة الشيخ زايد للكتاب تضمن المساواة في التقدير والجوائز التي تمنح لمختلف فئات الأدب، بما فيها أدب الأطفال".

نقاش افتراضي لأهم قضايا الأدب العربي

الرواية أشبه بقطار سريع

مهمة الكاتب إنقاذ التاريخ من العواطف

إبراهيم عيسى: كاتب الرواية التاريخية يشبه القاضي

القراءة الثانية مُهمة، والثالثة أكثر أهمية، عندما يتعلق الأمر بالتاريخ المروي. فالنظر إلى لوحة التاريخ بتصورات جديدة يضبط الرؤية ويقلل من حجم تدخل ريشة التجميل والتشوية. وهو ما يتصدّى له اليوم الكثير من الروائيين بدل المؤرخين. وفي هذا الصدد التقت "العرب" الروائي المصري إبراهيم عيسى، الذي يعتبر من أهم كتاب الرواية التاريخية.

مصطفى عبيد

> كلما تحررنا من عواطفنا ومُسلماتنا وأيديولوجياتنا ورضانا وغضبنا تجاه البعض وإعجابنا واستيائنا قاربنا الواقع التاريخي.

التاريخ مُلوّن بتصورات كاتبه، وموجه لخدمة السلطة أحيانا، وربما لإرضاء القطيع والجماهير، وما يرونه لنا في ما يعتقدونه ليس شرطا أن يكون الحقيقة، وأي كتابة جديدة للتاريخ ينبغي أن تتحرر من العواطف والتوجهات السابقة ليعاد تقديمها في إطار مشوق يستهدف الحقيقة ومحاكمة ما مضى.

> الكاتب يحلل المعطيات التاريخية منطقيا ليستبعد منها ما يناقض العقل ويعيد فرز الحكايات الجديرة بالعرض مرة أخرى

كانت تلك الرؤية هي المُلهمة والحاكمة للكاتب والإعلامي المصري إبراهيم عيسى، وهو يقدم حكاية أخرى لثورة 23 يوليو سنة 1952، من خلال إطار درامي تضمه روايته الجديدة "كل الشهور يوليو"، والصادرة أخيرا بالقاهرة.

وظيفة جديدة

لماذا اختار إبراهيم عيسى هذا العنوان الغريب "كل الشهور يوليو"؟ يرفض الروائي التفسير ويترك ذلك لتصور كل قارئ كي يضع فهما شخصيا للرواية، وكأنه أراد القول إن التاريخ يتكرر بما يضمه من صراع، وخداع، وحب، وكراهية، وصدفة، وغباء، وولاء، وخيانة، وخبل، وأمل. مَن يتحيز لثورة يوليو ويمجد رجالها، ويراهم أبطالا وثوارا وشجعانا تُسعده الحكاية، كما أن مَن يتحيز ضدها ويراها انقلابا وغدرا وفشلا وسقوطا يرضى عن العمل، لأنه يعتقد بأنه استهدف الحقيقة وتجرّد.

يقول إبراهيم عيسى لـ"العرب"، إن هناك وظائف كثيرة للرواية الأدبية، مثل المتعة، وشحذ العقول، وإثارة التساؤلات، ويضيف إليها وظيفة أخرى هي الإنصاف وإعادة كتابة التاريخ محررا من فخ العواطف والميول الشخصية.

جاء إهداؤه الرواية إلى "الذين يبحثون عن الحقيقة.. إنها تبحث عنكم"، وتلاه بديباجة تقول "كل شخصيات الرواية حقيقية، وجميع أحداثها تستند إلى عشرات المراجع والمصادر، من مذكرات ويوميات ووثائق ودراسات وشهادات وكتب".

تحكي الرواية عن حركة أو انقلاب 23 يوليو في مصر بأدق تفاصيلها ومحاورات شخوصها مختلفي التوجهات، بدءا من الملك فاروق، ملك مصر والسودان (1936ـ 1952)، مرورا بالرئيس جمال عبدالناصر، قائد الحركة، ورفاقه من الضباط الأحرار، مثل: أنور السادات، خالد محيي الدين، عبدالحكيم عامر، حسين الشافعي، يوسف صديق، فضلا عن شخوص أخرى قامت بأدوار ثانوية مهمة مثل السفير الأميركي كافري، وفؤاد سراج الدين، والصحافي مصطفى أمين، وصولا إلى أصحاب أدوار أصغر مثل الملكة ناريمان، والأميرة فوزية، وحاشية القصر.

تمتد الأحداث لتعيد قراءة كل شخصية تاريخية بشكل واقعي ينأى عن المدح، ويتجنب القدح، مع استعراض دوافع الشخصيات الإنسانية والوقوف على نقاط القوة والضعف في كل منها، بدءا من ليلة التحرك، وصولا إلى خروج الملك من مصر، واستبدال سلطة غاشمة قاسية بأخرى قد تكون أكثر قسوة.

ويوضح الروائي المصري أنه كتب روايته لأنه مؤمن ب تاريخ حركة يوليو التي غيرت وجه مصر وامتد تأثيرها إلى العالم العربي والأفريقي، مثل كثير من الأحداث الهامة في تاريخنا المعاصر الذي لم يُكتب بعدُ.

إن أغلبية ما قدمته الكتابات التاريخية لا تُرضي شغف القارئ ولا تُقدم صورة متكاملة لما حدث، وكيف حدث؟

من هنا درس إبراهيم عيسى كل شخصية على حدة، وتخيّل سماتها وأعاد رسمها، ومدّ الصورة المرسومة عبر المشاهد المتتالية ليُقدّم جوانب قد لا تكون معروفة لدى العامة، مثل ولع اللواء محمد نجيب قائد مجلس قيادة الثورة غير المنقطع بالحكايات لكل شخص يقابله، أو ميل السادات الدائم لامتصاص غضب أي شخص والحديث معه وكأنه مؤيد لما يقول، أو الصمت المريب والدائم لعبدالناصر، الذي يعني قراءته العميقة لمعظم من يلتقي بهم.

يتخذ الكاتب من الراوي العليم صوتا مراقبا لكل الشخصيات، غير أن هناك صوتا مستترا يمثل شيطانا مقترنا بكل شخصية يُحادثها ويحاورها ويغوص في رأسها كفايروس عقلي يومض مصورا ما تُخبئه سكناتها.

يؤكد عيسى أن سعيه إلى قراءة التاريخ تحول إلى منهج حاكم لمعظم أعماله، مُفضلا التعامل معه بعقلية المحقق الجنائي، الذي يُخضع كل شخص وحدث لمعيار وحيد هو الواقعية. إذا كان البعض يرى أن دافع التخييل لدى الروائي يؤدي أحيانا إلى اختلاق وقائع وحكايات في روايته التاريخية، فإن عيسى على تضادّ مع هذه الفكرة لأنه يرى أن الصرامة التي تحكم معايير كتاباته التاريخية تدفعه إلى الانتصار للحقيقة حتى لو كان ذلك على حساب الحكايات المثيرة والجذابة دراميا.

يقول الروائي المصري، إن التاريخ مزدحم بحكايات لا حصر لها تبدو مدهشة ومثيرة، وربما جميلة فنيا، لكن صرامة المحقق قد تستبعد جميع ما يتسرّب الشك إليها.

تناولت رواية عيسى السابقة التي تحمل عنوان "القتلة الأوائل" تاريخ الحرب الأهلية بين المسلمين في القرن الهجري الأول، في ما عرف بالفتنة الكبرى، ورأى شخصية عبدالله بن سبأ التي تحدث عنها بعض المؤرخين أسطورية يصطدم وجودها مع الواقع نفسه، ما دفعه إلى استبعادها واستبعاد كل حكاياتها، رغم أن مثل هذه الشخصية العجيبة قادرة على إدهاش القارئ.

ولفت عيسى، إلى أن الكتابة الروائية التاريخية تحوّل صاحبها إلى محل نفسي، مهمته إعادة قراءة سمات كل شخص، والتعرف على دوافع كل إنسان في اتباع سلوك ما في وقت ما.

ويشبّه كاتب الرواية التاريخية بالقاضي، أو وكيل النيابة الذي تُعرض عليه الشهادات والوقائع جميعا، فيحللها منطقيا ليستبعد منها ما يناقض العقل ويعيد فرز الحكايات الجديرة بالعرض مرة أخرى، وبين شلال من الشهادات المتعددة الغريبة والمتناقضة لا بد من وضع معايير صارمة لقبول أو رفض الواقعة، فأحيانا نفاجأ بشهادات ما لشخص واحد مروية بطرق عديدة.

ويرى أن المهمة المثلى للكاتب إنقاذ التاريخ من العواطف، والتحرر التام من كل ما يغاير الحقيقة، فقد تسببت العواطف في اتساع حدة الاستقطاب ليس في المنطقة العربية وحدها، إنما في العالم كله، "لقد أفسدتنا العواطف، جرجرتنا بعيدا عن الحقيقة، دفعتنا إلى التيه بين ركام الأكاذيب وأكوام القصص المختلقة، ففقدنا الماضي ولم نُلمّ بالحاضر وظلّت سبلنا نحو المستقبل".

ويشير عيسى إلى أن دافعه للكتابة هو أن يعيش حيوات الآخرين، ويُفكر وكأنه واحد منهم، يدرس ما فعلوه، يُحلل ما مرّ بهم، وما خططوا له، ويسأل مع السائلين لماذا نجحت خطة الفشل في تحقيق الحلم المستحيل، الذي انقلب بعدها إلى كابوس؟

الكاتب في ظنه يعيش عدة مرات، مرة في حياته الطبيعية بانتصاراتها وانكساراتها، ومرات أخرى في كل رواية يكتبها، خاصة إذا كانت رواية تاريخية جرت أحداثها في الحقيقة ورأى الناس شخوصها الحقيقيين.

غربلة الشهادات

يلفت الروائي المصري في حواره مع "العرب"، إلى أن الرواية في تصوّره أفضل وعاء لإعادة قراءة التاريخ، وكسر المسلمات، ونقد الشهادات المبنية من أيديولوجيات خاصة، والوصول إلى الجانب الإنساني بما يحمله من ضعف ونوازع وسمات موجودة في كل شخصية.

فالأبطال ليسوا أبطالا إلى الأبد، وحتى الأشرار أو من يعتبرهم الناس أشرارا قد يحملون في بعض جوانبهم نقاطا إنسانية مضيئة.

ويبدو القالب الروائي سلسا وجذابا بالنسبة إلى عيسى، لأنه يهتم بالسمات الإنسانية لكل شخصية، وله أنصار كثر، ويتماهى مع التاريخ في تعبيره عن أشخاص من لحم ودم، يمكن أن نرى الكثير من الناس حولنا على شاكلتهم.

وكان الجانب الواقعي منطلقا للرواية العربية الحديثة، فمن بين الشخصيات التي تعيش حولنا يمكن رسم شخوص روائية مدهشة، وضرب مثلا بالروائي الكبير نجيب محفوظ عندما كتب روايته "الكرنك" استنادا إلى حكايات وشهادات لأشخاص حقيقيين قابلهم في المقهى.

وقد كتب محفوظ أيضا روايته "اللص والكلاب" عن سفاح حقيقي عرفته مصر خلال الستينات، وكتبت عنه جميع الصحف، وهو محمود سليمان.

في فلسفة إبراهيم عيسى، تبدو الرواية أشبه بقطار سريع عصري ومتطور، والتاريخ هو القضبان الحديدية التي يمر عليها، فيزلزلها ويحطم بعضها، ويدفع لتجديد بعضها الآخر.

ويعتبر أن التاريخ العربي، بل وتاريخ العالم نفسه في حاجة إلى إعادة كتابته مرة واثنين وثلاثا وأكثر، وهناك حركات فكرية عديدة تتبنى إعادة كتابة التاريخ، لذا فهو أمر لا يصح التساؤل فيه، لأنه قطعي الإجابة بنعم. ويضيف أن مقولة "التاريخ يكتبه المنتصرون" صحيحة، وما بقي لنا باعتباره تاريخا هو نصف الحقيقة، نحن بحاجة إلى غربلة الوقائع والأحداث المروية ووضع معايير موضوعية لترجيح روايات عن أخرى.

وهناك كتب عديدة تدّعي أنها كتب تاريخ وربما تضم شهادات مختلفة، ومستندات ووثائق، لكنها في حقيقة الأمر تقدم جانبا مما جرى لا ما جرى بالفعل، وهذا كله يستلزم لفن الرواية التشابك والتقاطع مع التاريخ وطرحه بصورة مُجرّدة.